المصدر : أهـــــرام
التاريخ : ٢٣ فبرايـــــر ٢٠٠٠

البابا والإسلام

في صيف عام ١٩٧٨ ولأول مرة منذ ٤٥٥ عاماً ، انتخب مجلس الكرادلة فى الفاتيكان كاردينالاً بولندياً هو كارول فوجتيلا ليكون اول بولندى يعتلى السدة البابوية، مع ارتفاع الدخان الابيض من مدخنة المجمع الفاتيكانى اتخذ الكاردينال فوجتيلا اسمات جديداً له هو البابا يوحنا بولس الثانى.

فى العام الاول لانتخابه ، قام البابا الجديد بأول زيارة لمسقط رأسه فى بولندا كانت بلادة ترزح كغيرها من دول اوروبا الشرقية تحت السيطرة الشيوعية. فى عام ١٩٨٢ كان ثانى اثنين مع الرئيس الامريكى الاسبق رونالد ريجان فى لقاء سرى تقرر فيه تنسيق الجهود الامريكية والفاتيكانية لاسقاط النظام الشيوعى فى بولندا يكشف كتاب صدر فى عام ١٩٩٦ عنوانه « البابا يوحنا بولس الثانى والتاريخ السرى لعصرنا» للمؤرخ كارل برنشتاين ، ان البابا اجتمع مع وليم كيسى، مدير وكالة المخابرات المركزية الامريكية ومع السفير الامريكى فارنون والترز لوضع اسس المخطط المشترك، وهكذا سقطت امبراطورية الشيطان ، كما كان الرئيس ريجان يسمى الاتحاد السوفيتى وبسقوطها انتهت الحرب الباردة.

كان التحالف الامريكى - البابوى جبهة من اثنتين وجد الاتحاد السوفيتى، السابق نفسه مضطراً لخوضهما فى وقت واحد، اما الجبهة الثانية فهى جبهة التحالف الامريكى - الاسلامى فى افغانستان فقد اغدق الامريكيون على المجاهدين الافغان احدث انواع الاسلحة الخفيفة، بما فيها صواريخ ستينجر التى تطلق من الكتف، وحثوا حلفاءهم من الأغنياء المسلمين على تمويل الثورة الأفغانية حتى تمكنت تلك الثورة من تحويل افغانستان الى فيتنام سوفيتيية السقوط الشيوعى فى كابول تكامل مع السقوط الشيوعى فى وارسو، وهكذا بدأت حبات السبحة السوفيتية ، منذ عام ١٩٨٩ تتفرط الواحدة بعد الاخرى حتى جاء جورباتشوف الذى استقبله البابا فى الفاتيكان فى عام ١٩٨٩ وأكمل المهمة من داخل اسوار الكرملين نفسه!!.

كان البابا اسقفاً على مدينة كراكوف فى جنوب بولندا، وهى مدينة مجاورة للمعسكر الألمانى اوشفيتز ، وتقع كاتدرائيتها ، التى يقيم فيها الاسقف ، فوق مرتفع يطل على نهر غزير المياه صيفاً وشتاء. عندما دخل العثمانيون، فى العصور الوسطى ، هذه المنطقة اثناء حصار فيينا، عسكروا فى الضفة الجنوبية للنهر. كانت كراكوف تقع فى الضفة الشمالية . وكان البولنديون المقاومون للهجوم العثمانى يراقبون التحركات العسكرية من وراء اسوار المدينة المرتفعة، وكانوا فى كل مرة يلاحظون تحركات عسكرية مريبة يبادرون الى النفخ فى الابواق لتحذير الناس ولاستنفار قواتهم العسكرية استمر هذا التقليد حتى اليوم ، فمساء كل يوم غروب الشمس «اى عندما كان الجنود العثمانيون يتجمعون لاداء صلاة المغرب مما كان يوحى بأنهم يستعدون للقتال » تعتلى سور المدينة ، المطل على النهر، مجموعة من حملة الأبواق الذين ينفخون مذكرين (وليس محذرين). ورغم فلولكورية هذا المشهد حالياً، فانه يغذى ذاكرة تاريخية حافلة بقصص المجابهات والصدامات مع الاسلام الأسقف فوجتيلا هو ابن هذه البيئة، ولكنه بعد المقاومة الاسلامية الأفغانية ضد الشيوعية، والدور الذى قامت به لاسقاط امبراطورية الشيطان بدأ ينظر الى الامور من زاوية مختلفة ففى مقارباته للاسلام وجد البابا جوامع مشتركة عديدة اشار اليها مراراً، منها الايمان بالله الواحد ، ومنها الايمان باليوم الاخر وبالثواب والعقاب، ومنها التراث الابراهيمى، ومنها بتولة مريم، ومنها الاشارة الى المعجزات الخارقة للسيد المسيح، ومنها الدعوة الى فضائل الاخلاق واعتبارها جزءاً متمماً للعبادة.

وقد وجد الفاتيكان فى الاسلام شريكاً للدفاع عن الايمان وعضداً للوقوف فى وجه موجات التفلت المتتالية من الضوابط الأخلاقية على صعيد الفرد والجماعة، حتى ان البابا تحالف مع الاسلام ضد الولايات المتحدة نفسها.

ففى المؤتمر الدولى حول الاسرة والسكان ، الذى عقد فى القاهرة فى سبتمبر ١٩٩٥ ، وجد الفاتيكان فى الاسلام حليفاً استراتيجياً لاسقاط شرعية الاجهاض . وعندما احالت بلدية روما الى البابا الطلب الذى تلقته من سفارات الدولة الاسلامية فى ايطاليا لبناء مسجد ومركز اسلامى، رد البابا ناصحاً بلدية روما بالموافقة دون تردد.

وبالفعل فقد قدمت البلدية الارض (حوالى ٢٠ الف متر مربع) هدية لبناء المسجد والمركز الثقافى الاسلامى ، الذى

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

انجز بمساهمات من عدة دول اسلامية، وبتمويل اساسى من المملكة السعودية.

لايجهل البابا ان الذاكرة التاريخية عند المسلمين ، وعند المسيحيين الاوروبيين ملأى بالصور السلبية والمنفرة، ولكن أمله كبير فى امكان تصحيحها وتجاوزها فالأمل عنده قوة معنوية كبرى، وهو يخالف الفيلسوف الفرنسى رينيه ديكارت الذى قال فى القرن السابع عشر: انا افكر ، إذن انا موجود ويقول البابا فى كتابه « اجتياز عتبة الأمل »ان هذه النظرية قلبت فلسفة توما الإكوينى (من القرن الثالث عشر) رأساً على عقب، ذلك ان الوجود يأتى قبل التفكير ممكناً ويرى البابا انه لو ان ديكارت قال : انا موجود اذن أنا أفكر « لاختلف تاريخ العالم فى الثلاثمائة سنة الماضية اختلافا جذريا بهذه الخلفية يبدأ البابا جولته الروحية بزيارة مصر، وهو يهدف من وراء هذه الجولة إلى تصحيح مسيرة التاريخ فيعيد الأولوية الى خالق الوجود قبل الموجود والى الايمان بالله قبل الايمان بالانسان وبالفكر الانسانى. غير ان هذه الجولة الروحية تصطدم بسلبيتين الأولى عدم توافر الظروف المناسبة لزيارة بلدة اور فى العراق مسقط رأس أبى الأنبياء ابراهيم عليه السلام، والثانية زيارة القدس الشريف وهى ترزح تحت حراب الاحتلال الاسرائيلى .

لذلك فاننا بقدر ما نحزن مع البابا بسبب السلبية الأولى نحزن عليه بسبب السلبية الثانية، ولنا فى موقف البابا شنودة عزاءً وقدوة

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية